International Journal of Arabic Language and Literature Studies
المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وادابها
ISSN: 2707-7659
DOI: 10.32996/ijalls
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijalls

بواعث التغير الدلالي في اللغة العربية بين القدماء والمحدثين

محمد طاهر نسيم الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربي – كلية الآداب – بجامعة التربية والتعليم كابول

تاريخ استلام البحث: 2025/07/30 **تاريخ نشر البحث: 2025/09/21** **المجلد: 7** **العدد: 1**

الملخص:
يُلخِّص المقال ظاهرة التغير الدلالي في اللغة، مُعرِّفاً إياها بأنها تغير في العلاقة بين اللفظ والمعنى. يُقسِّم المقال أسباب هذا التغير إلى عوامل مقصودة (كالمجامع اللغوية) وعوامل غير مقصودة وهي الأهم في الدراسة (كالحاجة، والتطور الاجتماعي، والعوامل اللغوية الداخلية) .أهم عوامل التغير الدلالي؛ الحاجة إلى كلمة جديدة: عندما يظهر معنى جديد، يُستعار له لفظ قديم، مما يغير دلالته .التطور الاجتماعي والثقافي: يؤدي إلى انتقال دلالة الألفاظ من المعاني المحسوسة إلى المجردة .الاستعمال اللغوي: يؤدي إلى تغير الدلالات عبر الأجيال، وقد ينتج عن سوء الفهم أو الابتذال (مثل كلمة غائط) .المجاورة السياقية: كثرة استعمال كلمة بجوار ألفاظ معينة يؤدي إلى اكتسابها دلالة جديدة، مثل كلمة الفشل التي تغير معناها من الجبن إلى الإخفاق .عوامل نفسية: كالمجازات الفنية والاستعارات التي يستخدمها الأدباء لتوسيع دلالات الألفاظ .التأثير الأجنبي: اقتراض الكلمات أو ترجمتها الحرفية من لغات أخرى (مثل كلمة تدخُّل بمعنى عملية جراحية) .التطور الصوتي: تغير أصوات الكلمة قد يجعلها تشبه كلمة أخرى، مما يؤدي إلى اختلاط المعنيين .اختصار العبارة: استخدام كلمة واحدة لتدل على معنى عبارة كاملة (مثل كلمة ذوات التي اختصرت من "ذوات الأملاك") .كثرة الاستعمال: الاستعمال المتكرر للكلمة يجعلها تكتسب دلالات متنوعة ومتعددة .الابتذال: انحطاط معنى الكلمة لظروف اجتماعية أو سياسية (مثل كلمة الحاجب) .يُشير المقال إلى أن اللغويين المحدثين هم من قاموا بدراسة هذه الظاهرة بشكل منهجي، لكنه يُبرز دور علماء اللغة القدامى مثل أبي حاتم الرازي الذي تنبه لبعض هذه العوامل. وقد قسّم الرازي الألفاظ العربية إلى: قديمة موروثة، قديمة بدلالات جديدة (متطورة)، جديدة في صيغها ودلالاتها، وألفاظ معربة. كما ذكر المقال أمثلة من القرآن الكريم على ألفاظ لم تكن معروفة للعرب قبل الإسلام، مثل تسنيم، وسلسبيل، وغسلين. يجب أن يذكر أن الباحث استفاد في إعداد المقال من منهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: بواعث، الدلالي، التغير، القدماء، المحدثين

Motives of Semantic Change in the Arabic Language Between the Ancients and the Moderns

Mohammad Tahir Nasim, Faculty of Education, Department of Arabic Language and Literature Kabul Education University-Afghanistan

Corresponding Author: Mohammad Tahir Nasim, **E-mail**: sabkhaf@gmail.com

RECIEVED: 30 July 2025 **PUBLISHED:** 21 September 2025 **DOI:** 0.32996/ijalls.2025.7.1.17

Abstract

This article summarizes the phenomenon of semantic change in language, defining it as a shift in the relationship between a word and its meaning. It divides the causes of this change into deliberate factors (like linguistic academies) and, more importantly, unintended factors like necessity, social development, and internal linguistic influences. Key Factors of Semantic Change* Necessity: When a new concept emerges, an old word is often borrowed to express it, thereby changing its meaning. * Socio-cultural Development: This leads to a shift in word meanings from concrete to abstract. *Linguistic Usage: Usage can change a word's meaning over generations, sometimes due to misunderstanding or vulgarization (e.g., the word gha'it, meaning feces, but originally referred to a lower-lying area where one could relieve themselves). *Contextual Juxtaposition: Frequent use of a word next to certain other words can lead to it acquiring a new meaning. An example is the word al-fashal which shifted from meaning cowardice to failure. * Psychological Factors: Literary metaphors and artistic expressions used by writers can broaden the meaning of words. * Foreign Influence: This involves borrowing words or calquing (literal translation) from other languages (e.g., the Arabic word tadakhul which can mean intervention, but also surgery). * Phonetic Evolution: A change in a word's sounds can make it resemble another word, leading to a confusion of their meanings. *Phrase Abbreviation: Using a single word to represent the meaning of an entire phrase (e.g., the word dhawat, meaning "persons," which was abbreviated from dhawat al-amlak, or "owners of property"). *Frequent Usage: The repeated use of a word can causes it to acquire multiple and varied meanings. *Vulgarization: The degradation of a word's meaning due to social or

political circumstances (e.g., the word al-hajib, meaning the eyebrow, but in the Abbasid era, it referred to a court chamberlain). Historical Perspective: The article notes that modern linguists have studied this phenomenon methodically, but it highlights the role of early linguists like Abu Hatim al-Razi, who recognized some of these factors. Al-Razi classified Arabic words into four categories: inherited ancient words, ancient words with new meanings (evolved), words new in both form and meaning, and foreign loanwords. The article also provides examples from the Quran of words not known to Arabs before Islam, such as tasnim, salsabil, and ghaslin. Finally, the article states that the researcher used a descriptive-analytical methodology to prepare the study.
Keywords: Motives, Semantic, Change, Ancient, Modern

1. مقدمة

تُعدّ اللغة من أهم مظاهر التطور البشري، فهي كيان حيٌّ يتغير باستمرار ليواكب التطورات الثقافية والاجتماعية والعلمية. ويُعد التغير الدلالي أحد أبرز جوانب هذا التغير، إذ تتغير معاني الكلمات بمرور الزمن، لتكتسب دلالات جديدة أو تفقد دلالاتها القديمة. هذا المقال يستكشف هذه الظاهرة اللغوية، مُحلّلاً أسبابها ومظاهرها، ومستعرضاً آراء اللغويين القدامى والمحدثين في هذا المجال.

2. مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في رصد وتحليل العوامل والأسباب التي تؤدي إلى تغير معاني الألفاظ في اللغة العربية عبر العصور، وكيف تتجلى هذه التغيرات في صور ومظاهر مختلفة. ويسعى البحث إلى إظهار مدى عمق فهم العلماء العرب القدامى لهذه الظاهرة، ومقارنة ذلك بالدراسات اللغوية الحديثة، مع التركيز على الكلمات التي طالها التطور الدلالي.

3. أسئلة البحث

1. ما هي أبرز العوامل والأسباب التي تؤدي إلى التغير الدلالي في اللغة؟
2. كيف أشار اللغويون العرب القدامى إلى هذه الظاهرة في مؤلفاتهم؟
3. ما هي أهم مظاهر التغير الدلالي التي تم رصدها، مثل: تخصيص المعنى، تعميمه، وانتقاله؟
4. هل يمكن أن تؤدي الأسباب النفسية، والاجتماعية، واللغوية إلى تغير معنى الكلمة؟
5. ما هو دور القرآن الكريم والسنة النبوية في إحداث تغيرات دلالية في الألفاظ العربية؟

4. أهداف البحث

رصد العوامل: تحديد وتصنيف العوامل المؤثرة في تغير دلالات الألفاظ، سواء كانت مقصودة (كالمجامع اللغوية) أو غير مقصودة (كالحاجة والابتذال).

إبراز جهود القدماء: تسليط الضوء على إسهامات علماء اللغة العرب القدامى، مثل أبي حاتم الرازي، في دراسة التطور الدلالي.

تحليل المظاهر: شرح مظاهر التطور الدلالي وتصنيفها، مع تقديم أمثلة تطبيقية من اللغة العربية.

المقارنة: عقد مقارنة بين جهود القدماء والمحدثين في فهم وتحليل هذه الظاهرة.

5. أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في كونه يساهم في فهم آليات تطور اللغة العربية عبر العصور، وهو ما يعد أساساً لفهم تاريخ الألفاظ ومدلولاتها. كما أنه يبرز أصالة الفكر اللغوي العربي القديم، ويؤكد على أن كثيراً من القضايا التي يدرسها اللغويون المحدثون قد أشار إليها أسلافهم بوعي لغوي عميق. إضافة إلى ذلك، فإن هذا البحث يساعد في فك غموض بعض الألفاظ، ويوضح أسباب انحراف معانيها عن دلالاتها الأصلية.

6. منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتم وصف ظاهرة التطور الدلالي وتحليلها من خلال النصوص اللغوية القديمة والحديثة. سيتم استقراء النصوص الواردة في مقالكم، وتحليل الأمثلة المقدمة، ومقارنتها بما ورد في كتب التراث اللغوي والمعاجم القديمة، بالإضافة إلى الاستعانة بآراء اللغويين المحدثين لتقديم رؤية شاملة للظاهرة.

الدراسات السابقة

كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية لأبي حاتم الرازي: يُعد من أوائل وأهم الكتب التي تناولت التطور الدلالي، خاصة فيما يتعلق بالألفاظ الإسلامية الجديدة أو التي تغيرت دلالتها بعد الإسلام.

دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس: من الكتب الحديثة التي تناولت ظاهرة التطور الدلالي بشكل مفصل، حيث قدم تحليلاً علمياً لعوامل التغير مثل الحاجة، والتطور الاجتماعي، والعوامل الصوتية.

كتاب علم الدلالة لأحمد مختار عمر: يعرض فيه المؤلف التطور الدلالي كجزء أساسي من علم الدلالة، ويصنف أسباب التغير ومظاهره بأسلوب علمي حديث.

كتب علم اللغة العام: مثل كتاب (الخصائص) لابن جني، و(المزهر) للسيوطي، التي وإن لم تتناول التطور الدلالي كظاهرة مستقلة، إلا أنها تحتوي على إشارات مهمة وقيمة في هذا الشأن.

التغير الدلالي في اللغة

يتناول البحث موضوع تغير المعنى في اللغة، ويُعرّفه بأنه تحول العلاقة المتبادلة بين اللفظ ومعناه (المدلول) (ابن منظور، 1968). ويذكر أن هذا التغير يظهر بصورتين:

إضافة معنى جديد إلى كلمة قديمة: بحيث تُستخدم كلمة موجودة بالفعل للدلالة على مفهوم جديد.

إضافة كلمة جديدة إلى معنى قديم: أي ابتكار لفظ جديد للتعبير عن معنى كان موجودًا من قبل.

العوامل المؤثرة في تغير المعنى

يصنف البحث العوامل التي تسبب تغير المعنى إلى نوعين رئيسين:

عوامل مقصودة ومتعمدة: وهي التي تتم عن طريق جهود منظمة مثل المجامع اللغوية والهيئات العلمية التي تضع مصطلحات جديدة أو تعطي دلالات جديدة لألفاظ قديمة لمواكبة التطورات. يرى المقال أن تأثير هذه العوامل محدود ولا تلقى اهتمامًا كبيرًا من الباحثين.
عوامل غير مقصودة: وهي التي تحدث بشكل طبيعي وتلقائي، وتعد هي الأكثر أهمية بالنسبة للدارسين. وقد استطاع علماء اللغة الحديثون تحديد عدد من هذه العوامل من خلال دراستهم للغات الإنسانية، ومنها:
الحاجة إلى كلمة جديدة: عند ظهور مفهوم أو معنى جديد في المجتمع، يبدأ الناس في البحث عن لفظ للتعبير عنه.
التطور الاجتماعي والثقافي: التغيرات في بنية المجتمع وثقافته تؤدي إلى تغيرات في اللغة.
التطور اللغوي الداخلي: التغيرات التي تحدث في صياغة الكلمات وتراكيب الجمل (ابن دريد، 1351ه).

الحاجة إلى كلمة جديدة كعامل رئيسي

يُسلط المقال الضوء على الحاجة إلى كلمة جديدة باعتبارها أحد أهم العوامل التي تؤدي إلى تطور الدلالة. فعندما يواجه المتحدثون معنى جديدًا، فإنهم يلجؤون إلى استخدام كلمة قديمة من مخزونهم اللغوي للتعبير عنه. هذا الاستخدام الجديد يؤدي إلى تغيير العلاقة بين اللفظ ومعناه الأصلي.
ويُشير المقال إلى أن العلاقة بين المعنى القديم والجديد قد تكون قائمة على المشابهة أو المجاورة أو أي رابط آخر، وقد لا يكون هناك أي علاقة على الإطلاق. ويستشهد المقال بقول إبراهيم أنيس الذي يؤكد على أن الناس يميلون إلى استخدام الألفاظ المألوفة في سياقات غير مألوفة عندما يعجزون عن إيجاد كلمات جديدة للتعبير عن تجاربهم وأفكارهم المستجدة (أنيس، 1976).
هنا يتناول البحث حالات أخرى لتغير المعنى، وهي التي لا ترتبط بالضرورة بالحاجة إلى لفظ جديد، بل تنبع من أسباب لغوية وتاريخية واجتماعية.
ويصنف المقال هذه الأسباب إلى قسمين رئيسيين:
أسباب خارجية: مصدرها الحياة والمجتمع الذي يعيش فيه المتكلمون. مثال على ذلك التطور الاجتماعي والثقافي الذي يؤدي إلى انتقال دلالة الألفاظ من المعاني المحسوسة إلى المعاني المجردة، بما يتناسب مع تطور العقل البشري.
أسباب داخلية: مرتبطة بتركيب اللغة نفسها، وتراكيبها، واستعمالها. هذه الأسباب ترجع غالبًا إلى الاستعمال اللغوي، حيث يتبادل الناس الألفاظ، وتتغير دلالاتها من شخص لآخر ومن بيئة لأخرى، وتتوارثها الأجيال مع انحراف تدريجي في المعنى يتزايد بمرور الزمن (ابن قتيبة، 1966).
أمثلة على التغير الدلالي الداخلي
يشرح المقال كيف أن الاستعمال اليومي للغة يولد حالات متعددة من التغير الدلالي، منها:
سوء الفهم: قد يضاف معنى جديد إلى كلمة قديمة نتيجة لسوء فهمها.
الاشتباه الصوتي: قد تتغير صورة لفظ معين ليصبح مشابهًا للفظ آخر، مما يؤدي إلى اختلاط الدلالتين، وهو ما يُعتبر سببًا في نشأة الاشتراك اللفظي (وجود أكثر من معنى للفظ واحد).
عامل الابتذال أو اللا مساس: وهو ما يحدث عندما تُهجر ألفاظ معينة وتُستبدل بغيرها لأنها أصبحت شديدة الوضوح أو صريحة في معناها، خاصة في الألفاظ التي تتعلق بالحاجات الإنسانية والغرائز.
مثال على الابتذال: كلمة "الغائط"
نقدم مثالًا توضيحيًا من القرآن الكريم بكلمة "الغائط" في الآية القرآنية: [أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء] سورة النساء آية، 43.
المعنى الأصلي: هو المكان المنخفض أو الوادي.
التغير الدلالي: استُخدمت الكلمة ككناية عن قضاء الحاجة، لأن الناس كانوا يذهبون إلى هذه الأماكن المنخفضة لقضاء حوائجهم بعيدًا عن الأنظار.
النتيجة: بسبب كثرة الاستعمال، أصبحت الكلمة صريحة وواضحة في هذا المعنى الجديد، مما أدى إلى هجرها واستبدالها بعبارات أكثر تعمية مثل "قضاء الحاجة" أو "الذهاب إلى الحمام."
تغير المعنى بسبب المجاورة والملازمة
نشير إلى سبب آخر للتغير الدلالي الداخلي، وهو كثرة استعمال لفظ في موضع معين بجوار ألفاظ أخرى.
كلمة "التقوى:"
الأصل: تعني "وقاية النفس" من العذاب.
التغير: بسبب ملازمتها للأعمال الصالحة في الاستعمال، أصبحت تحمل معنى أعم يشمل العمل الصالح، وأصبحت كلمتا "التقي" و"المتقي" تدلان على الرجل الصالح.
كلمة "الاحتيال:"
الأصل: تعني "الحركة."
التغير: استُخدمت بمعنى "الحذق وجودة النظر" في مجال كسب الرزق. ولكن بسبب ما قد يصاحب هذا الكسب من غش، اكتسبت الكلمة بمرور الزمن معاني سلبية، وأصبحت ألفاظ "الحيلة" و"الاحتيال" تدل على الذم القبيح (الداية، 1988).
قد تكون حالات أخرى لتغير المعنى، وهي التي لا ترتبط بالضرورة بالحاجة إلى لفظ جديد، بل تنبع من أسباب نفسية أو لغوية خالصة.

التغير بسبب المجاورة والملازمة

كلمة "الفشل": كان معناها الأصلي "الجبن والضعف والفزع"، كما ورد في الآية الكريمة: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)، حيث فسرها ابن جرير الطبري بمعنى "فتضعفوا وتجبنوا."
التغير الدلالي: بسبب كثرة استخدام هذه الآية في سياقات تتحدث عن التنازع المؤدي إلى الهزيمة والإخفاق، ظن الناس أن معنى "الفشل" هو الإخفاق أو الخسارة (الزمخشري، 1979).
النتيجة: أصبح يُستخدم اللفظ اليوم بمعنى "الإخفاق" في مواقف مثل "فشل في الدراسة" أو "فشل الرياضي في تحقيق رقم"، وهذا الاستعمال يعتبر قياسًا خاطئًا على المعنى الأصلي.

التغير بسبب العوامل النفسية والإبداعية

قد يكون التغير الدلالي نتيجة بواعث إبداعية ومجازات فنية، يستخدمها الأدباء والشعراء لتوسيع نطاق التعبير.
دور الأديب: يقوم المبدع بنحت اللغة وتطويعها لتعبر عن أفكار وانفعالات جديدة، مما يغير من دلالة الكلمات ويحركها في اتجاهات مختلفة.
المجاز والاستعارة: يعتبر علماء اللغة المعاصرون المجاز المرسل والاستعارة نماذج أساسية لتغير الدلالة وتطورها.

المجاز المرسل الكلي: يؤدي إلى تخصيص الدلالة عندما يُستخدم لفظ الكل للدلالة على الجزء، مثل قوله تعالى: (يجعلون أصابعهم في آذانهم).
المجاز المرسل الجزئي: يؤدي إلى تعميم الدلالة وتوسيعها عندما يُستخدم لفظ الجزء للدلالة على الكل، مثل قوله تعالى: (فتحرير رقبة مؤمنة) والمقصود به العبد المؤمن (المبارك، 1972).
الخلاصة: الاستخدام المجازي للكلمات يمنحها علاقات جديدة، ويغير قيمتها الدلالية، ويجعلها أكثر وضوحًا وجاذبية في سياقها الجديد.

قوانين التغير الدلالي

هناك عديد من حالات التغير الدلالي لا يمكن حصرها أو وضعها تحت قوانين دقيقة وثابتة بسبب تشعبها وغرابتها، ولذلك فمن الصعب الحديث عن "قوانين" دلالية بالمعنى العلمي الدقيق للكلمة.
وتجدر الإشارة هنا إلى أبو حاتم الرازي وكتابه "الزينة في الكلمات الإسلامية"، حيث يعتبر رائدًا في دراسة التغير الدلالي في تاريخ اللغة العربية، فقد تناول ألفاظًا إسلامية وتتبع تطورها الدلالي.
حدد الرازي أقسام الرصيد اللغوي العربي إلى أربعة أنواع رئيسية، تناول فيها تطور اللغة العربية وتفاعلها مع العوامل الداخلية والخارجية. هذه الأقسام هي:
الألفاظ القديمة الموروثة: وهي الكلمات التي حافظت على معناها واستخدامها من فترة ما قبل الإسلام، وهو ما يُعرف بـ"الشطر المستمر من الدلالات."
الألفاظ التي تطورت دلالتها: كلمات قديمة اكتسبت معاني جديدة بعد الإسلام، سواء عن طريق تعميم معناها، تخصيصه، أو نقله بالكامل إلى دلالة مختلفة.
الألفاظ الجديدة: كلمات جديدة في صيغتها ودلالتها، نشأت من البنية الصرفية العربية وجاء بها القرآن أو السنة النبوية، مثل "تسنيم" و"سلسبيل"، ولم تكن معروفة قبل ذلك (الرازي، 1957).
الألفاظ المعربة: كلمات أجنبية استعارتها العرب وأخضعتها لأوزانها وقواعدها الصرفية، فصارت جزءًا لا يتجزأ من اللغة العربية.
أمثلة من الألفاظ التي نطق بها القرآن ولم تكن تعرفها العرب
يُورد الرازي في كتابه "الزينة" أمثلة على كلمات يرى أنها لم تكن معروفة للعرب قبل نزول القرآن، وهي مشتقة من ألفاظ عربية أو غير عربية، ومنها:
تسنيم: وردت في سورة المطففين، وهي عين في الجنة، ولم يُعثر لها على أصل في الشعر الجاهلي أو اللغات السامية القديمة، حسب المستشرق نولدكه.
سلسبيل: كلمة وردت في سورة الإنسان لوصف عين في الجنة. يقول الزجاج إنها صفة لما كان "في غاية السلاسة"، وقد أكد ابن الأعرابي أنه لم يسمع بها إلا في القرآن.
غسلين: وردت في سورة الحاقة، وتفسيرها هو "ما يسيل من صديد أهل النار"، ويُقال أيضًا إن معناها "شديد الحر". لا يُعرف لها أصل في العربية أو اللغات الأخرى.
سجين: وردت في سورة المطففين، ومعناها "حبس" أو "حساب". وقد احتار علماء اللغة في تفسيرها، ويبدو أنها من الألفاظ التي أتى بها القرآن.
الرقيم: وردت في سورة الكهف، وتعددت آراء المفسرين حولها، فمنهم من قال إنها اسم وادٍ، ومنهم من قال إنها لوح كُتبت فيه أسماء أصحاب الكهف، ويرى أهل اللغة أنها اسم بمعنى "مكتوب" (الرازي، 1957).

التغير الدلالي في اللغة العربية

يُعد التغير الدلالي عملية مستمرة في اللغة، حيث تتغير معاني الكلمات بمرور الزمن. وقد أشار الرازي إلى أن هذا التغير يحدث بطرق مختلفة، مثل الاشتقاق القريب أو البعيد. وقد يكتسب الشيء اسمًا جديدًا لا يُعرف اشتقاقه، أو قد يُشتق اسمه من معنى سابق له، كما في أمثلة:
آدم: يُقال إنه سُمي بذلك لأنه أُخذ من "أديم الأرض" أي ظاهرها.
الإنس: سُمي بذلك لظهورهم، من الفعل "آنستُ الشيء" أي أبصرته.
الجن: سُمي بذلك لاستخفائهم، من الفعل "اجتَنّ" أي استخفى (الرازي، 1957).

تأثير اللغات الأجنبية على اللغة العربية

تُعد ظاهرة الاقتراض اللغوي أمرًا طبيعيًا، حيث تستعير اللغات من بعضها البعض لسد النقص في المفردات. وقد أشار الأستاذ محمد المبارك إلى تأثير اللغات الأجنبية، وخاصة الفرنسية، على العربية، مما أدى إلى تبني معانٍ جديدة لكلمات عربية موجودة. فكلمات مثل "تدخّل"، "الوسط"، "التحليل"، و"المدرسة" أصبحت تُستخدم بمعانٍ جديدة نتيجة للترجمة الحرفية من الفرنسية، مثل استخدام "تدخل" بمعنى "العملية الجراحية."
أنواع تغير العلاقة بين اللفظ والمدلول
أشار اللغوي "أولمان" (أولمان، 1975) إلى صورتين لتغير العلاقة بين الكلمة ومعناها:
الصورة الأولى: إضافة معنى جديد لكلمة قديمة.
الصورة الثانية: إضافة كلمة جديدة لمعنى قديم.
لم تلقَ الصورة الثانية اهتمامًا كافيًا من الدارسين، رغم أهميتها. فقد تنبه الرازي (الرازي، 1957) إلى هذه الظاهرة في مقدمة كتابه "الزينة" حينما ذكر أن هناك أسماء جديدة جاء بها القرآن الكريم للدلالة على معانٍ موجودة، ولكن بمفهوم مختلف، مثل:
الجهاد: لفظ جديد جاء به القرآن ليحل محل كلمات مثل "الحرب" و"الغزو"، نظرًا لتغير مفهومها في الإسلام.
الفتح: استعمله القرآن بمعنى "انتشار الإسلام" و"تحقيق النصر"، وهو معنى مختلف عن المعنى الذي كانت تعرفه العرب.
كما أن هناك ألفاظًا نشأت في الإسلام ولم تكن معروفة في الجاهلية، مثل "الجاهلية" و"المنافق"، مما يؤكد أن اللغة تتطور وتتغير بتغير المجتمعات والظروف (السامرائي، 1974).
يعد تغير مدلول الكلمات من أهم عوامل التغير الدلالي في اللغة، حيث تتغير معاني الكلمات مع مرور الوقت وكثرة استخدامها في سياقات معينة. ويمكن تلخيص أبرز أسباب هذا التغير في النقاط التالية:

1- تخصيص المعنى العام

عندما يتم استخدام كلمة ذات معنى عام في سياقات محددة بشكل متكرر، يصبح مدلولها مرتبطًا بهذا السياق الخاص. ويُعد هذا من أبرز مظاهر تطور اللغة العربية بعد ظهور الإسلام، حيث اكتسبت كلمات عامة معاني دينية خاصة:

الصلاة: كانت تعني الدعاء بشكل عام، ثم أصبحت تشير إلى الفريضة المعروفة.
الحج: كان يعني الذهاب إلى أي مكان بشكل عام، لكنه أصبح يعني الذهاب إلى الكعبة لأداء المناسك.
الصوم: كان يعني الإمساك عن أي شيء، ثم أصبح يعني الامتناع عن الطعام والشراب في شهر رمضان.
المؤمن والكافر: كانت هذه الكلمات تُستخدم لوصف من يصدق أو يكذب بشكل عام، ثم ارتبطت بالإيمان أو الكفر بالدين الإسلامي.
الركوع والسجود: كانت تعني الانحناء بشكل عام، ثم أصبحت تدل على أفعال معينة في الصلاة.

تعميم المعنى الخاص

على العكس من ذلك، قد يتم استخدام كلمة ذات معنى خاص في سياقات أوسع وأكثر عمومية، مما يؤدي إلى توسيع مدلولها. ومن الأمثلة على ذلك:

البأس: كان يُستخدم في الأصل لوصف الشدة في الحرب، ثم أصبح يشمل أي نوع من أنواع الشدة أو القوة.
الورد: كان يعني في الأصل إتيان الماء فقط، ثم أصبح يدل على إتيان أي شيء بشكل عام، مثل "ورد في الكتاب" أي جاء فيه.
الحُوَّة: كان هذا اللفظ يصف لونًا معينًا من ألوان الخيل (سواد يميل إلى الخضرة أو حمرة)، ثم أصبح يُستخدم لوصف أي شيء أسود، مثل "ليل أحوى" أو "شعر أحوى (أبو عبيدة، 1954).

هذه الأمثلة تُظهر كيف يمكن لكثرة الاستعمال أن تؤثر بشكل مباشر على معنى الكلمة، فتضيق نطاقها أو توسّعه بحسب السياق الذي تُستخدم فيه.

2- غموض معني الكلمة:

يعد غموض معنى الكلمة أحد العوامل الأساسية التي تؤدي إلى تطور الدلالة وتغيرها بمرور الزمن. يمكن توضيح هذه النقطة بالتفصيل كالتالي:

العلاقة بين وضوح الكلمة وتغيرها

كلما كان معنى الكلمة واضحًا ومحددًا في أذهان المتحدثين، قلت احتمالية أن يتغير هذا المعنى أو يتأثر بالعوامل المختلفة. فوضوح المعنى يجعله ثابتًا ومقاومًا للتغيرات.

وعلى النقيض، إذا كان معنى الكلمة غامضًا أو مبهمًا، فإنها تصبح أكثر عرضة للتقلب والانحراف عن معناها الأصلي. هذا الغموض يجعلها "لينة" وقابلة لاكتساب دلالات جديدة مع كثرة الاستخدام في سياقات مختلفة.

تأثير "الأسرة المعنوية" للكلمة

تُشبه الكلمات بـ"عائلات" أو "أسر" مترابطة، حيث تكون الكلمات ذات الأصل المشترك مرتبطة ببعضها البعض في أذهان الناس. هذه الروابط القوية تساعد على الحفاظ على المعنى التقليدي لكل كلمة ضمن هذه الأسرة.

على سبيل المثال، كلمة "كتاب" تنتمي إلى أسرة معنوية تضم كلمات مثل "مكتبة"، "كاتب"، و*"مكتوب"*. هذه الكلمات جميعها تدور حول فكرة "الكتابة" و"الجمع"، مما يجعل معنى "كتاب" واضحًا وثابتًا.

ولكن إذا كانت الكلمة "وحيدة" وليس لها أسرة معنوية معروفة أو مستخدمة بكثرة، فإن هذا الغفيف يؤدي إلى ضعف ارتباطها بمعنى محدد، مما يجعلها عرضة لاكتساب معانٍ جديدة وغريبة عن أصلها (عمر، 1982).

أهمية "الروابط الدلالية"

يؤكد علماء اللغة أن "عُرى الأسرة المعنوية تمسك كل كلمة في معناها التقليدي". وهذا يعني أن الروابط بين الكلمات المتشابهة في المعنى تمنع أي كلمة من أن "تضل الطريق" وتكتسب دلالة مختلفة تمامًا. أما إذا انفصمت هذه الروابط أو ضعفت، فإن الكلمة تصبح حرة في تغيير معناها، مما يؤدي إلى تطور دلالي قد يكون غير متوقع (مطر، 1985).

3- التغير الصوتي:

يعد التطور الصوتي أحد العوامل المهمة التي تؤدي إلى تغير معاني الكلمات. فالتغييرات التي تحدث في نطق الكلمة بمرور الوقت قد تؤثر على مدلولها.

العلاقة بين الصوت والمعنى

ثبات أصوات الكلمة يساعد على الحفاظ على معناها الأصلي. فكلما كان نطق الكلمة ثابتًا، ظلت صلتها بمعناها في أذهان الناس قوية وواضحة. على العكس، تغير أصوات الكلمة يضعف هذه الصلة. فعندما يتغير نطق الكلمة، تصبح صورتها الصوتية مختلفة، مما يجعلها تبدو غريبة عن أصلها. هذا يمهد الطريق لتغير معناها أو انحرافها عن الدلالة التقليدية.

تأثير التشابه الصوتي

أحيانًا، قد يؤدي التطور الصوتي إلى جعل كلمة ما تشبه كلمة أخرى تمامًا في النطق، حتى لو كانتا مختلفتين في المعنى والأصل. هذا التشابه قد يسبب خلطًا بين المعنيين، وينتج عنه معنى جديد يجمع بين الكلمتين.

مثال على ذلك:

كلمة "كماش" الفارسية، التي تعني "نسيج من قطن خشن". بمرور الوقت، تحولت الكاف في نطقها إلى قاف، لتصبح "قماش". في اللغة العربية، كانت كلمة "قُماش" موجودة بالفعل، لكنها كانت تعني "فتات الأشياء" أو "متاع البيت" (القرطبي، 2006).

عندما حدث التشابه الصوتي، اختلط المعنيان، واكتسبت كلمة "قماش" العربية معنى جديدًا يتعلق بالمنسوجات، وهو المعنى الذي نعرفه اليوم.

4- اختصار العبارة

يعد اختصار العبارة أحد الأسباب التي تؤدي إلى تطور معاني الكلمات. تحدث هذه العملية عندما تُستخدم كلمة واحدة من جملة كاملة لتعبر عن المعنى الكامل للجملة بأكملها.

كيف يحدث التطور الدلالي عبر الاختصار؟

بمرور الوقت، ومع تكرار استخدام الكلمة المختصرة، يصبح معناها الجديد هو السائد، وتُنسى العبارة الأصلية التي اشتُقت منها. هذا الانفصال عن الأصل يجعل الصلة بين الكلمة ومعناها الجديد غير واضحة للأجيال اللاحقة.

مثال:

عندما يقول الناس "فلان من الذوات"، فهم يقصدون أنه من الأغنياء. هنا، تم استخدام كلمة "الذوات" لتدل على معنى مختلف تمامًا عن معناها الأصلي، وهو "الذات" أو "النفس."

السبب في هذا التغيير هو أن كلمة "الذوات" هي اختصار لعبارة "ذوات الأملاك"، والتي تعني "أصحاب الأملاك والثروات". ومع كثرة الاستخدام، أصبحت كلمة "الذوات" وحدها كافية للدلالة على معنى الأغنياء، مما أدى إلى تطور دلالي للكلمة.

5- كثرة الاستعمال

يعد كثرة الاستعمال أحد أهم العوامل التي تؤدي إلى تطور المعنى في اللغة. عندما يتم تداول كلمة معينة بشكل متكرر في سياقات مختلفة، فإن ذهن المتلقي يُوجّه في اتجاهات جديدة، مما يفتح الباب لخلق معانٍ جديدة للكلمة.

مفهوم "التأقلم الدلالي"

يُطلق على هذه الظاهرة اسم "التأقلم"، وهي قدرة الكلمات على اتخاذ دلالات متنوعة بحسب الاستخدامات المختلفة التي تُوظف فيها. هذا التأقلم لا يعني بالضرورة أن المعنى الجديد يلغي المعنى القديم، بل يمكن أن تتعايش المعاني المختلفة للكلمة في اللغة الواحدة.

مثال على ذلك:

كلمة (bureau) الفرنسية، (فندريس، 1950) والتي تعني "مكتب"، تُقدم مثالاً رائعًا على التأقلم الدلالي:

الأصل: كانت الكلمة تدل في البداية على نوع من نسيج الصوف الخشن.

التغير الأول: أُطلقت على قطعة الأثاث التي تُغطى بهذا النسيج.

التغير الثاني: أصبحت تُشير إلى أي قطعة أثاث تُستخدم للكتابة.

التغير الثالث: أصبحت تدل على الغرفة التي تحتوي على قطعة الأثاث هذه.

التغير الرابع: أصبحت تُستخدم للإشارة إلى الأعمال التي تُنفذ في هذه الغرفة.

التغير الخامس: اتسع معناها لتشمل الأشخاص الذين يقومون بهذه الأعمال.

التغير السادس: أصبحت تدل على أي مجموعة من الأشخاص تُدير إدارة أو جمعية معينة.

حركة التغير الدلالي

يوضح هذا المثال أن حركة التغير الدلالي لا تسير دائمًا في خط مستقيم، بل يمكن أن تتفرع في اتجاهات متعددة حول المعنى الأساسي. ويمكن لأي معنى ثانوي أن يصبح بدوره مركزًا جديدًا لإشعاع دلالات أخرى. وهذا ما يجعل اللغة حية وديناميكية، وقادرة على التكيف مع احتياجات التواصل المتغيرة.

6- الابتذال أو الانحطاط في معنى الكلمة

يعد الابتذال أو الانحطاط في معنى الكلمة أحد عوامل التغير الدلالي، حيث تفقد الكلمة قيمتها الأصلية وتكتسب معنى أقل شأنًا. يحدث هذا عادةً بسبب ظروف سياسية، اجتماعية، أو عاطفية.

أمثلة على انحطاط معنى الكلمة

الحاجب: في فترة الحكم الأندلسي، كانت كلمة "الحاجب" تعني "رئيس الوزراء"، وهو منصب رفيع جدًا. لكن مع مرور الزمن، انحدر معناها لتصبح "البواب" في الوقت الحاضر (الزبيدي، 1965).

الوزير: كلمة "الوزير" العربية التي تشير إلى منصب عالٍ في الدولة، تحوّلت في اللغة الإسبانية إلى "الشرطي.(alguacil) "

أسباب تغير المعنى

إن أسباب تغير المعنى كثيرة ومعقدة، ويصعب حصرها في قائمة واحدة. يرى علماء الدلالة أن هذه الأسباب قد تكون:

لغوية: مثل التطور الصوتي واختصار العبارات.

تاريخية: مثل التغيرات السياسية والاجتماعية التي تؤثر على استخدام الكلمات.

نفسية: مثل المشاعر والعواطف التي ترتبط بكلمات معينة.

التأثير الأجنبي: وهو ما يحدث عند استعارة كلمات من لغات أخرى أو تأثر المعاني بها.

الحاجة إلى اسم جديد: عندما تتطلب التطورات الثقافية والعلمية كلمات جديدة لوصف مفاهيم جديدة.

وبعد استعراض أهم هذه العوامل التي ذكرها علماء اللغة، يمكننا الآن أن ننتقل إلى مظاهر هذا التطور.

المناقشة

يناقش البحث ظاهرة بواعث التغير الدلالي للغة، مسلطًا الضوء على أن اللغة كيان حي يتغير باستمرار. وقد أثبتت الدراسة أن تغير المعنى ليس ظاهرة عشوائية، بل تحكمه عوامل وأسباب محددة، بعضها مقصود والآخر غير مقصود.

يبرز المقال أن العوامل غير المقصودة، مثل الحاجة والتطور الاجتماعي، هي الأكثر تأثيرًا وأهمية. فالحاجة إلى التعبير عن معانٍ جديدة تدفع المتحدثين إلى استخدام ألفاظ قديمة بطريقة جديدة، مما يغير دلالتها الأصلية. كما أن التطور الحضاري يغير المفاهيم، مما يؤدي إلى انتقال دلالة الألفاظ من المعاني المادية المحسوسة إلى المعاني المجردة.

تُظهر الدراسة أيضًا أن عوامل داخلية مرتبطة باللغة نفسها تلعب دورًا حاسمًا، مثل الاستعمال المتكرر الذي يؤدي إلى الابتذال أو التخصيص أو التعميم، والتبدل الصوتي الذي يجعل الألفاظ تتشابه وتختلط دلالاتها. كما أن المجازات والاستعارات تساهم في توسيع المعنى وتنقله من مجال إلى آخر، مما يدل على حيوية اللغة ومرونتها.

ويُعدّ الجانب الأهم في المقال هو المقارنة بين جهود القدماء والمحدثين. ففي حين أن الدراسات اللغوية الحديثة قد نظَّمت هذه العوامل وصنفتها علميًا، إلا أن المقال يثبت أن علماء العرب القدماء، وخاصة أبو حاتم الرازي، قد تنبهوا لهذه الظاهرة وأشاروا إليها في سياق دراساتهم للألفاظ الإسلامية. هذا يكشف عن وعي مبكر بأهمية تاريخ الألفاظ وتطورها، وأنهم لم يعتبروا اللغة كيانًا ثابتًا.

النتائج

بناءً على سبق، يمكن تلخيص النتائج الرئيسية للبحث فيما يلي:

- ظاهرة عالمية: التغير الدلالي ظاهرة طبيعية وعامة في جميع اللغات الإنسانية، وتخضع لقوانين متشابهة.
- تعدد الأسباب: تتنوع أسباب التطور الدلالي بين عوامل خارجية (مثل التطور الاجتماعي والثقافي والتأثير الأجنبي) وعوامل داخلية (مثل الاستعمال، والابتذال، والتطور الصوتي، واختصار العبارات).
- وعي قديم: أظهرت الدراسة أن علماء اللغة العرب القدامى كانوا على وعي تام بظاهرة التطور الدلالي، وقد سجلوا ملاحظات دقيقة حول تغير معاني الألفاظ، خاصة الألفاظ التي جاء بها الإسلام، مثل: الجهاد والفتح.

- تأثير السياق: يلعب السياق اللغوي دورًا محوريًا في تغير المعنى، فاستخدام اللفظ في سياقات معينة وبجوار ألفاظ محددة يغير دلالته بمرور الوقت. ومثال ذلك كلمة الفشل التي اكتسبت معنى جديدًا بسبب سياقها القرآني.
- دور القرآن: يُعد القرآن الكريم عاملًا أساسيًا في إحداث تطور دلالي في اللغة العربية، سواء بإدخال ألفاظ جديدة لم تكن معروفة من قبل (مثل تسنيم وسلسبيل)، أو بإعطاء دلالات جديدة لألفاظ قديمة (مثل الصلاة والزكاة).
- أهمية الدراسة: تسهم دراسة التطور الدلالي في فهم أعمق للغة وتاريخها، وتساعد على تفسير أسباب انحراف معاني الكلمات عن أصولها، وتكشف عن آليات الإبداع اللغوي.

المصادر والمراجع

[1]. القرآن الكريم
[2]. ابن دريد. (1351ه). جمهرة اللغة، طبع ونشر الهند
[3]. ابن قتيبة. (1966م). تأويل مشكل القرآن ، ط1، القاهرة – مصر.
[4]. ابن منظور. (1968م). لسان العرب، الناشر: دار صادر ـ بيروت – لبنان.
[5]. أبي عبيدة (معمر بن المثنى). (1954م). مجاز القرآن، ط1 - القاهرة ـ مصر.
[6]. أنيس، إبراهيم. (1976م). دلالة الألفاظ، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة – مصر.
[7]. أولمان، ستيفن. (1975م). دور الكلمة في اللغة، ترجمة: د. كمال بشر ـ القاهرة – مصر.
[8]. الجرجاني، عبد القاهر. (1996م). أسرار البلاغة، تحقيق: محمد رشيد رضا ـ ط 4، الناشر: دار المنار.
[9]. الداية، فايز. (1988م). علم الدلالة العربي ـ الجزائر.
[10]. الرازي، أبو حاتم. (1957م). الزينة في الكلمات الإسلامية، ط2، القاهرة ـ مصر.
[11]. رمضان. عبد التواب. (1983م). التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ـ القاهرة – مصر.
[12]. الزبيدي، أبو بكر. (1964م). لحن العوام، تحقيق: د. رمضان عبد التواب ـ القاهرة.
[13]. الزبيدي، محمد مرتضى. (1965م). تاج العروس من جواهر القاموس، الناشر: الكويت.
14]. الزمخشري، جار الله. (1979م). أساس البلاغة ـ تحقيق: محمود بن عمر، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان.
[15]. السامرائي، مهدي. (1974م). المجاز في البلاغة العربية، ط1 ـ الناشر: دار الدعوة ـ حماة.
[16]. السيوطي، جلال الدين. (1958م). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، القاهرة - مصر.
17]. شوك، محمد عادل. (2002م). علم البيان التطبيقي، ط2 ـ صنعاء ـ اليمن.
[18]. الصاحبي، أحمد بن فارس. (1977م). فقه اللغة، القاهرة – مصر.
[19]. عمر، أحمد مختار. (1982م). علم الدلالة، ط1 – الناشر: دار العروبة ـ الكويت.
[20]. فندريس، جوزيف. (1950م). اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة.
[21]. القرطبي، محمد بن أحمد. (د. ت).الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ط2 ـ بيروت ـ لبنان.
[22]. لعيبي، حاكم مالك. (1980م). الترادف في اللغة ـ ـ بغداد – العراق.
[23]. المبارك، محمد. (1972م). فقه اللغة وخصائص العربية - دار الفكر ـ بيروت.
[24]. مطر، عبد العزيز. (1985م). علم اللغة وفقه اللغة ـ قطر.